والكفر
لما ظهرت من المعاصي حتى ظهر فيها آثار البركة من الله التي محقتها الذنوب والكفر
ولا ريب ان العقوبات التي انزلها الله في الارض بقيت آثارها سارية في
الارض بطلب ما شاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت
بها الامم فهذه الآثار في الارض من آثار تلك العقوبات كما ان هذه المعاصي
من آثار تلك الجرائم فتناسبت حكمة الله الكونية اولا وآخرا وكان العظيم من
العقوبة للعظيم من الجناية والاخف للاخف وهذا يحكم الله سبحانه بين خلقه
في دار البرزخ ودار الجزاء وتامل مقارنة الشيطان ومحله وداره فانه لما
قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما
اثرت طاعته في الارض ما اثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته
وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الروح والرحمة والبركة

فصل ومن عقوبات الذنوب انها تطفئ من القلب نار الغيرة التي صح
هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارته وناره
التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الحديد
والفضة والذهب واشرف الناس واعلاهم قدرا وهمة اشدهم غيرة على
نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على
الامة والله سبحانه اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا عنه
انه قال في خطبة الكسوف يا امة محمد ما احد اغير من الله ان يزني عبده
او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله عز
من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
عز وجل من اجل ذلك اثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي
اصلها كراهة القبائح وبغضها ومحبة العذر الذي يوجب كمال العدل
والرحمة والاحسان والله سبحانه مع شدة غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده
ويقبل عذر من اعتذر اليه وانه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من

ارتكابه

ارتكابه حتى يعذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه اعذارا
وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية الكمال فان كثيرا ممن تشتد
غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة
من غير اعذار منه ومن غير قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون له
في نفس الامر عذر ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل
المعاذير يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى
عذرا ما ليس بعذر حتى يعذر كثير منهم بالقدر وكل منهما غير ممدوح
على الاطلاق وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الغيرة ما يحبها
الله ومنها ما يبغضها الله فالتي يبغضها الله الغيرة في غير ريبة وذكر الحديث
وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل الغيرة ويعذر في محل
العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات لعله احق
الكمال كلها كان احق بالمدح من كل احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغي
له بل هو كما مدح نفسه واثنى على نفسه فالغيور قد وافق ربه
سبحانه في صفة من صفاته ومن وافق الله سبحانه في صفة من صفاته قادته
تلك الصفة اليه بزمامه فادخلته على ربه وادنته منه وقربته من رحمته
وصيرته محبوبا له فانه سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم
يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي وهو احب اليه من المؤمن
الضعيف حيي يحب اهل الحياء جميل يحب الجمال وتر يحب اهل الوتر ولو
لم يكن في الذنوب والمعاصي الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات
وتمنعه من الاتصاف بها لكفى بها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة
تصير ارادة والارادة تقوى فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة
وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج منها كما يتعذر عليه الخروج
من صفاته القائمة به والمقصود انه كلما اشتدت ملابسته للذنوب اخرجت ملابست لعله القائمة
من القلب الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب
جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره واذا وصل الى هذا

Copyright © King Saud University